

التحرير والتنوير

وعندي أن وجه ذكر (ومن تأخر فلا إثم عليه) أن اﻻ لما أمر بالذكر في أيام منى وترك ما كانوا عليه في الجاهلية من الاشتغال فيها بالفضول كما تقدم, وقال بعد ذلك (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه) خيف أن يتوهم أن التعجيل بالنفر أولى تباعدا عن موافقه ما لا يحسن من الكلام, فدفع ذلك بقوله (ومن تأخر فلا إثم عليه) فإذا نفي هذا التوهم علم السامع أنه قد ثبتت للمتأخر فضيلة الإقامة بتلك المنازل المباركة والمشاركة فيها بذكر اﻻ تعالى, ولذلك عقبه بقوله (لمن اتقى) أي لمن اتقى اﻻ في تأخره فلم يرفث ولم يفسق في أيام منى, وإلا فالتأخر فيها لمن لم يتق إثم فهو متعلق بما تدل عليه (لا) من معنى النفي, أو هو خبر مبتدأ, أي ذلك (لمن اتقى) , وبدون هذا لا يظهر وجه لزيادة قوله (لمن اتقى) وإن تكلفوا في تفسيره بما لا تميل النفس إلى تقريره .

وقوله (وابتقوا اﻻ) وصاية بالتقوى وقعت في آخر بيان مهام أحكام الحج, فهي معطوفة على (واذكروا اﻻ) ومعتضة بين (ومن تأخر) وبين (ومن الناس من يعجبك) الخ . وقد استحضر حال المخاطبين بأحكام الحج في حال جهم ؛ لأن مفاتحة هاته الآيات كانت بقوله : (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث) الخ, ولما ختمت بقوله (واذكروا اﻻ في أيام معدودات) وهي آخر أيام الحج وأشير في ذلك إلى التفرق والرجوع إلى الأوطان بقوله (فمن تعجل في يومين) الخ, عقب ذلك بقوله تعالى (وابتقوا اﻻ) وصية جامعة للراجعين من الحج أن يراقبوا تقوى اﻻ في سائر أحوالهم وأماكنهم ولا يجعلوا تقواه خاصة بمدة الحج كما كانت تفعله الجاهلية فإذا انقضى الحج رجعوا يتقاتلون ويغيرون ويفسدون, وكما يفعله كثير من عصاة المسلمين عند انقضاء رمضان .

وقوله (واعلموا أنكم إليه تحشرون) تحريض على التقوى وتحذير من خلافها ؛ لأن من علم ذلك سعى لما يجلب رضا المرجوع إليه وتجنب سخطه . فالأمر في (اعلموا) للتذكير لأن ذلك معلوم عندهم وقد تقدم آنفا عند قوله (واعلموا أن اﻻ شديد العقاب) .

والحشر : الجمع بعد التفرق . فلذلك ناسب قوله (تحشرون) حالتي تفرق الحجيج بعد انقضاء الحج واجتماع أفراد كل فريق منهم إلى بلده بعد ذلك . واختير لفظ (تحشرون) هنا دون تصيرون أو ترجعون لأن تحشرون أجمع لأنه يدل على المصير وعلى الرجوع مع الدلالة على أنهم يصيرون مجتمعين كلهم كما كانوا مجتمعين حين استحضر حالهم في هذا الخطاب وهو اجتماع الحج ولأن الناس بعد الحج يحشرون إلى مواطنهم فذكرهم

بالحشر العظيم بلفظ تحشرون أنسب بالمقام من وجوه كثيرة والعرب كانوا يتفرقون رابع أيام منى فيرجعون إلى مكة لزيارة البيت لطواف الوداع ثم ينصرفون فيرجع كل فريق إلى موطنه قال امرؤ القيس يذكر التفرق يوم رابع النحر وهو يوم المحصب في منى : .
فإن عينا من رأى من تفرق ... أشت وأنأى من فراق المحصب .
غداة غدوا فسالك بطن نخلة ... وآخر منهم جازع نجد كيكب وقال كثير : .
ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح الأركان من هو ماسح .
وشدت على دهم المهاري رحالنا ... ولم ينظر الغادي الذي هو رائج .
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطي الأباطح والمعنى ليكن ذكركم ا
ودعائكم في أيام إقامتكم في منى وهي الأيام المعدودات الثلاثة الموالية ليوم الأضحى وأقيموا في منى تلك الأيام فمن دعت حاجته إلى التعجيل بالرجوع إلى وطنه فلا إثم عليه أن يترك يومين من أيام منى وهما الثاني عشر من ذي الحجة والثالث عشر منه .
ألد وهو قلبه في ما على ا ويشهد الدنيا الحياة في قوله يعجبك من الناس ومن (A E
الخصام [204] وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل وا لا يحب الفساد
[205] وإذا قيل له اتقي ا أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد [206])